المحاضرة الثامنة (8)

وفي موضع آخر تلتفت إلى نفسها بعد حديثها عن البكاء وطلبها من عينها أن تجود عليها بالبكاء مذكرة إياها بأن هذا الذي تبكينه ليس لأن الذي بيني وبينه هذه الصلة من القربى فقط، ولكنه فتى سيدا في قومه، رئيسا في عشيرته يتصف بالجرأة ، والجمال، والكرم، من أهل المجد صاحب نخوة ، وعزوة حتى وإن كان أصغر القوم سنا يكلفونه ما يعجزون عن القيام به، فهو يرى أن من أفضل مكاسبه أن يمدحه الناس، ويذكرونه بفعاله الحميدة وخصاله الفريدة، تقول:

أعيني جودا ولا تجمدا
ألا تبكيان لصخر الندى

ألا تبكيان الجريء الجميل
ألا تبكيان الفتى السيدا

طويل النجاد رفيع العماد
ساد عشيرته أمردا

إذا القوم مدُّوا بأيديهم
إلى المجد مدَّ إليه يدا

وتمضي في نوحها وبكائها متعجبة من الزمان الذي يأخذ الرؤوس ويبقى الذيول، يأخذ الأعلام ويبقى المجاهيل، يأخذ الأكرمين ويبقى منهم دون الأكرمين وتعلل ذلك بفساد الناس وليس فساد الليل والنهار، تقول:

إن الزمان وما يفني له عجب

أبقى لنا ذنبا واستأصل الرأس

أبقى لنا كل مجهول وفجعنا
بالحالمين فهم هام وأرماس

إن الجديدين في طول اختلافهما
لا يفسدان ولكن يفسد الناس

إن الجديدين في طول اختلافهما لا يفسدان ولكن يفسد الناس

وأما موسيقى شعرها فلا شك أنه احتوى على الكثير من التناغم والجمال ، فنجد الجرس الموسيقي في الأبيات ذات الإيقاع العذب السلس، واختيار الألفاظ السهلة واستعمال صيغ المبالغة للدلالة على الكثرة سواء في وصف صخر أو المعاناة للشاعرة تقول في وصف صخر:
وإن صخراً لمقدام إذا ركب
وإن صخراً إذا جاعوا لعقّار

وتقول في وصف حزنها:
أما لعينيك لا تهجع
تبكي لو أن البكا ينفع

كما أنها سعت إلى استخدام محسنات موسيقية أخرى للتعبير عن صورٍ

نفسية ومعاناة حقيقية.
فعلى سبيل المثال لا الحصر نجدها تأتي بالأبيات المصرعة لإضفاء قيمة موسيقية ، ونغمة تتناسب مع المعنى ، والشعور النفسي تقول:
يا عين جودي بدمع منك مهراق
إذا هدى الناس أو هموا بإطراق

وقولها:
يا عين جودي بدمع منك مسكوب
كلؤلؤ جال في الأسماط مثقوب

كما أنها أتت بأبيات مدورة، والتدوير من الظواهر المرتبطة بالأوزان تقول:
إنني قد علمت وجدك بالحمد
وأخلاقك العُناة سماحا

فارسٌ يضرب الكتيبة بالسيف
إذا أردف العويل الصياحا

ومن الفنون البلاغية استخدمت الخنساء الاستعارة وهي : نقل العبارة عن موضع استعمالها من أصلها اللغوي إلى غيره لغرض التعبير عن قوة التصوير والتخيل والإبداع وإيصال ما يرومُ الشاعر إيصاله إلى المتلقي " كتاب الصناعتين : 275"
فقد استعانت الخنساء بهذا اللون البلاغي للتعبير عما يجيش في

نفسها، وحاولت تلوين نصها بهذا اللون البلاغي، تقول:
بكت عيني وحق لها العويل
وهاض جناحي الحدث الجليل

تشبه نفسها بالطائر الذي لا قدرة له على الطيران من فجيعتها.
كما أنها تستخدم التشبيه لإيصال المعنى إلى المتلقي والتأثير في نفسه تقول:
وإن صخراً لتأتم الهداة به
كأنه علمٌ في رأسه نارُ

ففي هذا البيت تشبه أخاها بالجبل الذي توقد على قمته نار، ثم أصبح هذا البيت مضرب مثلٌ سائر كما أنه استخدمت التضاد والطباق وغيره من صنوف البلاغة، تقول:
وإن كان صخر الجود أصبح ثاوياً
فقد كان في الدنيا يضر وينفع